13 me Année No. 606

Lundi - 12 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثالثة عشرة — « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ » — العـــدد ٦٠٦

الفهـــرس

صفحة

الاتجاهات الحـــديثة
في الأدب العربي
للأستاذ عباس محمود العقاد

شاعت في الأدب العربي اتجاهات حديثة منذ أوائل القرن الحاضر لم تكن شائعة في عصوره الماضية . ولكنها على هذا لم تزل على اتصال بمناصر الأدب العربي من أقدم عصوره

ومن شأن هذا الاتصال أن يحوط حركة التجديد بشيء من الأناة والتريث ، لأن الأدب العربي متصل باللغة كجميع الآداب في الأمم كافة ، ولكن اللغة عند العرب خاصة متصلة بكتاب الدين الإسلامي وهو القرآن الكريم ، ومن هنا كان الانقطاع بين الاتجاهات الحديثة والمناصر القديمة أصعب وأندر من المعهود في آداب الأمم الأخرى ، وأمكن أن تقاس درجة المحافظة ، أو درجة التجديد ، في كل قطر من الأقطار العربية بمقياس التراث الإسلامي فيه . فحيثما تمكن هذا التراث في جوار الأماكن المقدسة ، أو المساجد الكبرى ، أو المعاهد العلمية العريقة ، فهنالك تزداد الأناة في تلبية الاتجاه الحديث ، ويشتد الحرص على دوام الصلة بين القديم والجديد ، كما يشاهد في أطوار حركة التجديد بالحجاز والعراق والشام وفلسطين وبلاد المغرب ومصر ولبنان

وإلى جانب هذا العامل القوي من عوامل الأناة المقصودة ، يعرض للأدب العربي سببان آخران غير مقصودين ، يعوقانه عن الاسترسال مع كل حركة جديدة وكل اتجاه حديث . وهما

غلبة الأمية وقلة القارئين ، ونقص وسائل النشر لتوزع القراء بين الأقطار العربية وصعوبة توحيد النشر فيها

وقد يظهر اختلال وسائل النشر حتى في القطر الواحد الخاضع لحكومة واحدة ، كما نرى في الديار المصرية ، حيث أوشكت القاهرة أن تنفرد بوسائل النشر المنتظم وتعذّر قيام المكتبات الناجحة في غير العاصمة الكبرى

فالاتجاهات الحديثة في الأدب العربي تخضع لهذه العوامل التي تحدها عن قصد وروية ، أو عن ضرورة لا قصد فيها ، وهي عوامل يندر أن تجتمع نظائرها في أدب أمة واحدة ، ولهذا يلاحظ أن الاتجاه الحديث في أدبنا العربي يجري في مجراه بداءة ثم لا يبلغ أقصى مداه الذي يتاح له أن يبلغه في الأمم الأخرى ، ولا يخلو هذا الحد من بعض الخير ، حين يمنع الاندفاع والاعتساف في اتباع الدعوات الطارئة ، ولكنه خليق أن يعالج في جانب التعويق منه ، كلما كان هذا التعويق عارضاً من عوارض النقص والاختلال

وعلى هذا كله قد اتجه الأدب العربي في أوائل القرن العشرين وجهات محسوسة لم تكن شائعة في عصوره الماضية بعيدها وقريبها ، سواء في مبناه أو في معناه ، أي سواء في الألفاظ والعبارات ، أو في المطالب والموضوعات

* * *

ففي اللفظ تتجه الكتابة العربية إلى التصحيح والتبسيط ، وتنجم في العالم العربي من حين إلى حين دعوات جدية إلى إعادة النظر في قواعد اللغة ، لتيسير الكتابة بها وتعميم فهمها . وتصدر هذه الدعوات عن نيات مختلفة لغايات متباينة . ولكنها قد تنقسم في جملتها إلى قسمين اثنين : أحدهما يراد به تغليب اللغة الفصحى ، والآخر يراد به تغليب اللغة – أو اللهجة – العامية وإحلالها محل الفصحى في الكتابة والخطابة وأحاديث المعيشة اليومية .

وكل ما يبدو من مصير هذه الدعوات أن الأمر لا ينتهي بانفراد اللغة الفصحى ولا بانفراد اللغة العامية في الكلام المكتوب . وإنما يدل الاتجاه الظاهر – إلى يومنا هذا – على إمكان العزل بين الموضوعات التي تُستخدم فيها كلٌّ من اللغتين . فتستخدم العربية الفصحى في الموضوعات العامة الباقية ، وتستخدم العربية العامية في الموضوعات المحلية الموقوتة ، ومنها لغة الكثير من الروايات التمثيلية سواء في المسرح أو في الصور المتحركة ، وكأنهم يحسبونها بهذه المثابة من الكلام المسموع الذي نمر به في المسرح كما نمر في الأسواق والبيوت ، ولا يشعر من يضعه بالانتقال من بيئة المعيشة اليومية إلى بيئة التعليم والثقافة ، وقد يساعد على الترخص في لغة التمثيل أنها لا تكتب الآن ولا تؤلف للبقاء الطويل ، وإنما تؤلف لموسم بعد موسم ، وقلما تعاد بعد انقضاء مواسمها

أما موضوعات الكتابة العربية ، فأول ما يلاحظ فيها غلبة المنثور على المنظوم ، خلافاً لما كان معهوداً في معظم العصور ، قبل بداية القرن العشرين .

ولا بد من انتظار الزمن قبل الحكم بدوام هذه الحالة أو زوالها وارتهانها ببعض الأسباب الموقوتة . ولكننا نستطيع أن نلمس منذ الساعة ، سببين بارزين يفسران لنا هذا الاتجاه الجديد في تاريخ العصور الأدبية : أولهما أن الشعر كانت له في العصور الماضية طائفة نافذة السلطان تشجعه وتتكفل بقائليه ، وهي طائفة الممدوحين من العظماء والسراة وأصحاب المصالح السياسية ، ولا سيما في الزمن الذي كان النظم مفضلا فيه على النثر في الدعوات السياسية لسهولة حفظه على الأميين وغير الأميين . وثانيهما أن الشعر قد شورك مشاركة قوية في بواعثه ودواعيه عند جمهرة القراء من غير طبقة السادة والعظماء . فإن جمهرة القراء يجدون اليوم منافذ كثيرة للتعبير عن العاطفة والترويح عنها في الروايات الممثلة والروايات المقروءة وما يذاع من الأغاني أو يحفظ في قوالب الحاكي ويردد في المحافل العامة ، فضلا عن الصحف والمجلات وسائر النشرات . وكل أولئك كان ميداناً وحيداً للشعر أو كان ميداناً للشعراء يوشك أن ينفردوا فيه.

ويلاحظ بعد هذه الملاحظة العابرة عن الشعر والنثر ، أن نصيب القصة في الكتابة المنثورة آخذٌ في الازدياد والانتشار ، وأن فن القصة العربية قد تقدم في الربع الثاني من القرن العشرين تقدماً لم يعرف له مثيل في ربعه الأول ولا في القرن الماضي الذي ازدهر فيه فن القصة بين الآداب العالمية . وفي بعض القصص التي تؤلف في هذه الفترة نزوعٌ إلى ما يسمى بالأدب المكشوف ترتضيه طائفة من قراء الجنسين ، ولا يقابل بالرضى عنه من جمهرة القراء

ثم يلاحظ مع هذا أن الترجمة تنقص في هذا الربع الثاني وأن التأليف يزداد ويتمكن في كثير من الأغراض .

ولعل مرجع هذا إلى نمو الثقة بالنفس في الأمم العربية ، وإلى ظهور طائفة من الكتاب يستطيعون الكتابة في موضوعات مختلفة ، كانت وقفاً على الترجمة قبل ثلاثين أو أربعين سنة .

وهنا أيضاً يحسن بنا أن ننتظر أطوار الزمن قبل الحكم بدوام هذه الحالة أو زوالها وارتهانها ببعض الأسباب الموقوتة

لأن نشاط التأليف في السنوات الأخيرة قد يرجع إلى عوارض مستحدثة في الحرب العالمية الحاضرة ، ومنها قلة الوارد من الكتب والمطبوعات الأجنبية ، واتساع الوقت للقراءة واللبث بالمنازل في الليالي التي قيدت بها الإضاءة ومواعيد السهر في الأندية العامة ، ومنها ضمور حجم الصحف والمجلات وفرض الرقابة على المنازعات السياسية التي تشغل طائفة كبيرة من القراء ، ومنها حالة الرواج التي يسرت أثمان الكتب لمن لم تكن ميسرة لهم قبل سنوات .

فإذا استقرت هذه الأسباب جميعها في قرارها بعد تبدل الحال وضحت الحقيقة في حركة التأليف ووضحت كذلك في حركة الترجمة ، لأن الترجمة قد تعود إلى رجحانها بعد تدفق المؤلفات الأجنبية التي تعالج مشكلات العالم في منابتها الأولى ، وقد يكون تدفق هذه المؤلفات موجباً للكتابة في موضوعاتها والتعقيب عليها دون ترجمتها

أما أغراض الأدباء من موضوعاتهم وكتاباتهم ، فالربع الثاني من القرن العشرين حقيق أن يشهد فيها انشعاباً لم يسبق إليه قط بين المدرستين الخالدتين على مدى الزمان ، ونعني بهما مدرسة الفن للفن ، ومدرسة الفن لخدمة المصالح الاجتماعية أو المصالح السياسية

فمنذ وُجد الأدب وجد الأدباء الذين يكتفون بالتعبير لجماله وإعرابه عن سرائر النفس الإنسانية ، ووجد الأدباء الذين يعبرون ليرجِّحوا دعوة على دعوة ، أو يقنعوا الناس بمذهب من مذاهب الإصلاح ويحركوهم إلى عمل مقصود .

ولكن الآونة التي نحن فيها تجتح بالناس إلى التفرقة الحاسمة بين المدرستين الخالدتين ، لأنها ليست تفرقة بين رهطين من الأدباء وكفى ، ولكنها تفرقة بين نظم حكومية وطبقات اجتماعية ودعوات فلسفية لا تزال عرضة للمناقشة في صدد المعيشة اليومية وصدد التفكير والدراسة . إذ كان من قواعد الاشتراكية المتطرفة أن الطبقة الاجتماعية الغالبة على الحكم في حل من تسخير الآداب والفنون والعقائد لخدمة مصالحها وتمثيل عاداتها وآمالها . فإذا أضيف القائلون بهذا الرأي لأنهم يدينون بالاشتراكية إلى القائلين به لأنهم ينكرون مذهب الفن للفن عامة ، فقد أصبحت الآونة الحاضرة في الحقيقة آونة النظر في المدرستين الخالدتين على وجه من الوجوه .

وقد ظهر في اللغة العربية بعض القصص ، والدراسات التي تتناول المسائل الاجتماعية ، وتصور الغني والفقير ، والرجل والمرأة في صورة تستحث النفوس إلى طلب الإصلاح والتغيير . ولا تزال تظهر فيها قصص ودراسات تصور الحالة في صورتها الفنية وتترك العمل المترتب على ظهورها في هذه الصورة لشعور القراء . ولكننا نعتقد أن مصير الخلاف بين المدرستين ، كمصير الخلاف بين دعاة الفصحى ودعاة العامية ، فلا تنفرد مدرسة الفن للفن بالميدان ، ولا تنفرد به مدرسة الفن لخدمة المقاصد الاجتماعية ، لأن أنماط الكتابة والتفكير لا تفرض بالإملاء والإيحاء ، وإنما تفرضها على الأديب سليقته ومزاجه . فمن غلبت فيه سليقة المصلح على سليقة الفنان ظهرت الدعوة في كتابته عامداً أو غير عامد ، ومن غلبت فيه سليقة الفنان على سليقة المصلح لم يفده إكراهه على الدعوة ، إلا أن يقتسر طبعه على غير ما يحسنه ويجيد فيه ، ولن تخلو الدنيا من أصحاب السليقتين .

وقد أسلفنا في صدر هذه الكلمة أن درجة المحافظة — في كل قطر من الأقطار العربية إنما تقاس بمقياس التراث الإسلامي فيه ؛ فحيثما تمكن هذا التراث في جوار الأماكن المقدسة أو المساجد الكبرى أو المعاهد العلمية العريقة فهنالك تزداد الأناة في تلبية الاتجاه الحديث.

ولا تصدق هذه الملاحظة على شيء صدقها على الدعوات الاجتماعية التي تمس قواعد الدين . فإن درجة النفور منها تكاد تتمشى في الترتيب بين الأقطار الإسلامية على حسب المعاهد العريقة التي فيها وحسب منزلتها في القداسة والرعاية الدينية ، وذلك هو شأن الأقطار العربية في كل تجديد له علاقة بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد .

وإذا أردنا أن نوجز القول في وصف الاتجاهات الحديثة بجملة القول في وصفها ، بعد هذه اللمحات عن مبناها ومعناها ، أننا نعبر الآن فترة البداية في الاستقلال والثقة بالنفس ، وأن هذا الاستقلال يتجلى حيناً في التحرر من القديم ويتجلى حيناً آخر في التحرر من الجديد .

فقد مضى زمان كان يكفي فيه أن يكون الشيء قديماً ليحكي بلا تصرف ولا مراجعة ، ومضى بعده زمن كان يكفي فيه أن يكون الشيء أوربيا أو حديثاً ليحكي بلا تصرف ولا مراجعة ، فهذا الربع الثاني من القرن العشرين قد عرف أناساً يأبون التقيد بكل قديم لأنه قديم ، كما يأبون التقيد بكل جديد لأنه جديد . ومن الناس اليوم من يوصف بالابتكار والجرأة لأنه يستمسك بقديم كان الاستمساك به وقفاً على الجامدين ، ومنهم من يوصف بالجمود والمحاكاة لأنه يعجل إلى الجديد الذي يستحب على سنة التقليد . ولعل الحقيقة القيلة هي التي يكتب لها أن تثبت قدم الاستقلال وتطلق الآراء من حجر القديم والجديد على السواء .

عباس محمود العقاد

أبو العـــــلاء المعرى

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

– ٣ –

التشاؤم والمتشائمون

لـمـا شاء الله أن يثب قَبيل من نامية الله[1] تلك الوثبة ، أن يطفر تلك الطفرة ، وليست الطفرة على ذى القدرة والحول بمحال ، واعتدلت القامات و [لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم] وتحركت الألسنة بعد حين من الدهر طويل بتلك اللهجات البينات ، وكرّم الله أناسيّ كثيراً على سائر المخلوقات بالذى دعته اللغات (العقل) وهو نعمة الله الكبرى ، وفضيلة الإنسان على غيره العظمى

[ولقد كرّمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا]

« اللبابُ أهلُ الألباب ، ولكل حيوانٍ حس[2]
ولكن الله فضل الناطقين[3] »

لـما كان الذى سمته الإفرنجية Evolution وصرنا إلى أفق الإنسانية الذى ذكره ابن خلدون ووضحه وفصّله النشوئيون تفصيلاً [وقد خلقكم أطواراً] ونجم فى الأدمغة ذلك (الفكر) المضيء ، وهو خير ما فى الدنيا ، بل هو كل ما فى الدنيا — كما يقول العلامة بوانكريه — ومحلُّ العقل (الدماغ) كما ذهب إلى ذلك أبو حنيفة وأرنست هيكل لا القلب — كما يقول الشافعى — واستنبط الحجى معانى الأشياء كانت خافية قبل ذلك (الارتقاء)، وهشت النفوس وبشت بمـا ترى العيون ، وأقبل (الإدراك)

(١) نامية الله : خلقه لأنهم ينمون .

(٢) فى (الامتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى : فأما أنفس أصناف الحيوان كالفرس والحمار فانها أنفس ناقصة غير كاملة ، وهى ضعيفة لأنها لم تجد إلا الاحساس والحركات ، ولم يشع فيها نور النفس الشريفة ، ولم ينبث فيها شعاع العقل الكريم ، فوجب من هذا الوجه أن تكون تابعة لأبدانها جارية على فسادها وبطلانها ، لأن الحكمة انتهت إلى ذلك الحد وكونها حشواً لهذه المادة وزينة ومنافع ومبالغ إلى غايات وأغراض .

(٣) أبو العلاء فى (الفصول والغايات)

وأتى (الفهم) فادرك المحسوس[1] أو الحس ، وفُهم المنظور ، والحسّ البحت والنظر الصرف كما يشمر غير الناطق ويلمح من دون فكر وفهامة هما كلا شيء ، كونُهما مثل العدم ، إنّ الهناءة والسعادة فى البصيرة لا البصر،

لـمـا ارتقينا وعقلنا وعلمنا وبنينا وحفرنا وغرسنا وتلونا :

[هو أنشأ كم من الأرض واستعمركم فيها]

[هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعا]

وقال الشيخ فى (الفصول والغايات) :

« إن شاء الملك قرّب النازح وطواه حتى يطوف الرجل فى الليلة الدانية بياض الشفق من حمرة الفجر ، طوافه بالكعبة حول قاف[2] ثم يؤوب إلى فراشه والليلة ما همت بالأسحار ، ويسلم بمكة فيسمعه أخوه بالشام ، ويأخذ الجمرة من تِهامة[3] فيوقد بها ناره فى يَبرين[4] وقاصية الرمال[5] » خفـقْنا قوله ، وطار فى الجو أو فى السُّمَّهى[6] مثل الطيور الطائرون ، وسمعنا فى دمشق سرار القوم بله الطنطنة[7] فى برلين وفى لندن وفى باريس وواشنطن ، وبله المَطْمطه[8] فى ميادين القتال . وأورى (مركونى) ما أورى وهو فى سفينته فى بحر الروم فأضاءت (سدنى) فى أقصى الأرض [ويخلق ما لا تعلمون] ،

لما قطعنا ما قطعنا ، وبلغنا ما بلغنا ، ومشينا اليَقدُميَّة[9] ، وحمدنا وشكرنا و « الحمد لله رب العالمين » طلعت علينا أجراق تذم الوجود ، وتهجو الحياة ، وتُطرى العدم ، وتلعن الدنيا ،

(١) ورد (المحسوس) فى الفصول والغايات ص ٣٢٣ وفى مقدمة المخصص ج١ ص ٢ ، ١٠ ونقد الجواليقى المحسوسات فى (تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة) فقال ابن برى : كثيراً ما يستعمل هذه اللفظة أبو على الفارسى وأبو عمران الصقلى على جلالتهما فى العلم فيقولون كل محسوس معلوم وليس كل معلوم محسوسا

(٢) قاف : جبل محيط بالأرض . . وقاف فى سلع الذى هو جبل فى المدينة : يثرب . والمقصود فى كلام الشيخ هو الأول .

(٣) تهامة : مكة ، وبلاد شمالى الحجاز .

(٤) يبرين : من أصقاع البحرين ، ويبرين قرية من قرى حلب .

(٥) رويت هذه الشذرة فى إحدى مقالاتى فى (الرسالة) ٢٥٠ ص ٦ فى ١٧ صفر ١٣٥٧ ، وعنوان المقالة (المخترعات وكتاب الفصول والغايات) .

(٦) السمهى : الهواء ، الجو .

(٧) الطنطنة : كثرة الكلام والتصويت به .

(٨) المطمطة : تتابع الأصوات فى الحرب وغيرها .

(٩) اليقدمية : التقدم بالهمة والأفعال .

وفى (الفائق) فى حديث ابن عباس : أن ابن أبى العاصى مشى اليقدمية ، وأن ابن الزبير مشى القهقرى . أى المشية اليقدمية التى يقدم بها الناس أى يتقدمهم وروى بالتاء غلطا .

وتـكنيها بأم دَفْر وأم دَرّن ، وتصفها بأنها دار قُلْـعة[١] ، منزل قُلَـعة[٢] ، وتسمى خيراتِها حُطاما . وجاء فوج أنكر كونها ، ولم يجد لها مثلاً : « قيل لبعضهم : كيف ترى الدنيا ؟ قال : وما الدنيا ؟ لا أعرف لها وجوداً » « وقيل لآخر : ما مثل الدنيا ؟ قال : هى أقل من أن يكون لها مثل » وتمادى محمد بن واسع فى استحقارها بل جاز المدى « قيل له : فلان زاهد ، قال : وما قدر الدنيا حتى يحمد من زهد فيها ؟ » وأقبل الحجاج بن يوسف متقرئاً متحنثاً[٣] فقال فى إحدى الخطب : « والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعمامتى هذه ؛ ولمـا بقى منها أشبه بما مضى من الماء بالماء » وتالله لو لا أن هــذا الـكُـهاكه ــ وكان الحجاج قصيراً أصغر كهاكها[٤] ــ أيدى إلى العربية تلك اليد ، وتقرب إلى (الـكتاب) ذاك التقرب الـكريم المشتهر ، وولع بالقرآن ولعاً كبيراً حتى قال عمر بن عبد العزيز : « ما حسدت الحجاج على شىء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله » لو لا كل ذلك لسخطنا وأطلنا القول فيه وبدا (الوليد) متحذلقاً متفلسفاً فى هذه المقطوعة التى أخرجته من بغداد :

أخىَّ ، متى خاصمت نفسك فاحتشد
لهـا ، ومتى حدثت نفسك فاصدق
أرى علل الأشياء شتى ولا أرى التجمع (م)
إلا عــــلة للتفـــرق
أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما
يقى الله فى بعض المواطن من يقى
فلا تتبع الماضى سؤالك لم مضى ؟
وعرج على الباقى وسائله لم بقى ؟
ولم أر كالدنيا حليلة صاحب
محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عياناً (وهى صنعة واحد)
فتحسبها صنعَى لطيف وأخرق[٥]

ومن قوله يذم جميع الناس :

(١) قلعة : اقتلاع ، تحول وارتحال .
(٢) منزل قلعة : المنزل الذى لا تمسكه ، والقلعة من المال ما لا يدوم
(٣) « المتقرىء » المتنسك « المتحنث » المتعبد .
(٤) « الـكهاكه » هو الذى إذا نظرت اليه كأنه يضحك وليس بضاحك من الـكهكهة (الفائق) .
(٥) فى « أمالى المرتضى » : قيل : ان السبب فى خروج البحترى من بغداد هذه الأبيات ، فان بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوي حيث قال « صنعى لطيف واخرق » وكانت العامة حينئذ غالبة على البلدة ، فخاف على نفسه ، وقال لابنه أبى الغوث : قم يا بنى حتى نطفىء هذه النائرة بخرجة نلم بها شعثنا ونعود ، فخرج ولم يعد .

إن الزمان زمان ســـوء
وجميع هــذا الناس بو[١]

وأطل علينا أحمد بن الحسين الكندى مجهوراً هذا الـكلام[٢] :

إذا كان الشباب السكر والشيب هماً
فالحياة هى الحِمام
هــل الولد المحبوب إلا تعلة
وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل
وما تسع الأزمان علمى بأمرها
وما تحسن الأيام تكتب ما أملى
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده
حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

يقول ابن الأثير فى كتابه (الوشى المرقوم فى حل المنظوم) : « كنت سافرت إلى مصر سنة (٥٦٦) ورأيت الناس مكبين على شعر أبى الطيب المتنبى دون غيره ، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك ، فلم يذكروا لى فى هذا شيئاً ، ثم إنى فاوضت عبد الرحمن بن على البيسانى (القاضى الفاضل) فى هذا فقال لى : (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس) ولقد صدق فيما قال » فهل نطق المتنبى بتلـكم الأبيات عن خواطر الأناسين ، أم لقفها عن سوانح الشياطين ، إنهم الشعراء يفتلتون[٣] « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون » و « الشعر للخَـلَد[٤] مثل الصورة لليد ، يمثل الصانع ما لا حقيقة له ، ويقول الخاطر ما لو طولب به لأنكره[٥] » . « وإذا رجع إلى الحقائق فنطقُ اللسان ، لا ينبىء عن اعتقاد الانسان[٦] »

ودهمنا ابن الشبل البغدادى هتاتاً[٧] جدّافاً[٨] يردد هذا الشعر[٩] :

صحة المرء للسقام طـريق
وطريق الفناء هــذا البقاء

(١) أصــل البو ــ كما فى اللسان ــ جلد الحوار يحش تبنا أو ثماما أو حشيشا لتعطف عليه الناقة اذا مات ولدها ثم يقرب إلى أم الفصيل لترأمه فتدر عليه . والعرب لم تشتق فعلا من البو وقد وضع الشيخ ابرهيم اليازجى للفظة الافرنجية empailler « بوى » وهى لفظة صالحة .
(٢) جهور الـكلام : فخمه .
(٣) الفلتة الـكلام يقع من غير إحكام وقد افتلته وفى الأساس : افتلت الـكلام : ارتجل ، وكل شىء فعله فلتة فقد افتلت .
(٤) « الخلد » القلب ، النفس .
(٥) أبو العلاء فى مقدمة « سقط الزند » .
(٦) أبو العلاء فى « رسالة الغفران » فى أثناء حديث عن المتنبى .
(٧) « هتات » مهذار كثير الـكلام .
(٨) جدف بنعمة الله : كفرها واستقلها . وفى حديث : لا تجدفوا بنعم الله
(٩) ذكره ابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » وياقوت فى « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » وقالا ان وفاته كانت سنة ٤٧٤ ولم يبينا وقت مولده ، وأطرياه كثيراً ، وأوردا قصيدتيه الرائية والهمزية وطائفة من شعره .

بالذى نفتدى نموت ونحيا ... أقتل الداء للنفوس الدواء
قبح الله لذة لأذانا ... نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد (م) فإيجادنا علينا بلاء
ليت شعري وللبلى كل ذا الخلق (م) بماذا تميز الأنبياء
موت ذا العالم المفضل بالنطق (م) وذا السارح البهيم سواء
لا غويٌّ لفقده تبسم الأرض (م) ولا للتقيّ تبكي السماء
إنما الناس قادم إثر ماض ... بدء قوم للآخرين انتهاء

ربك أيها الفلك المدار ... أقصد ذا المسير أم اضطرار ؟
مدارك قل لنا في أي شيء ... ففي أفهامنا منك انبهار
وعندك ترفع الأرواح أم هل ... مع الأجساد يدركها البوار
ودنيا كلها وضعت جنينا ... غذاه من نوائبها ظؤار
هي العشواء ما خبطت هشيم ... هي العجماء ما جرحت جُبار
نعاقب في الظهور وما وُلدنا ... ويذبح في حشا الأم الحوار
وننتظر الرزايا والبلايا ... وبعد فبالوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب أحرجه الوجار
فماذا الامتنان على وجود ... لغير الموجدين به الخيار ؟
وكانت أنعماً لو أن كونا ... نُخَيَّر قبله أو نستشار

لقد استأسد ابن الشبل على الحق، وبالغ في المغلطة والمسلطة[1]، ولقد عجبنا إذ سمعنا المقترح، وأطلنا الكركرة والقهقهة. إنّ على مبدعنا أن يستشير تلكم الذروات (أعني الأناسية) في الكون أو في العدم، ويقول لها: «أنت على التخيير» أنت بالمختار، أنت بالخيار. ولها أن تنعم أو تُلالي[2]

«وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخِيَرة، سبحان الله وتعالى عما يُشركون»

ذريةَ الأنس لا تُزهوا فإنكم[3] ... ذرٌّ تعدون أو غلا تضاهونا

إنّ الأناسيّ لم يتمثلوا بشراً أو أبشاراً أسوياء إلا من بعد آلاف من الحقب ومن بعد أطوار مختلفات كثيرات لا يعلم عددها إلا الله. ومثل ابن الشبل إنما نشأ ذرية لا تكاد ترى بالمجهر protiste «ثم أنشأناه خلقاً آخر» درّجته سنة الله إلى حيث انتهى أو ارتقى. وكان لا يحس في وقت ولا يسمع وما عقل -إن عقل- إلا بالأمس، ففي أي طور وفي أي حين يُخيَّر أو يستشار؟

(١) المغلطة: تخليط الخبر، المسلطة، الكلام على غير نظام.
(٢) تلالي: تقول: لا. في «الخصائص»: إن كثيراً من الأفعال مشتق من الحروف نحو قولهم: سألتك حاجة فلوليت لي أي قلت لي: لولا وسألتك حاجة فلاليت لي أي قلت لي: لا. واشتقوا أيضاً اسم المصدر، وهو اسم من الحرف فقالوا اللالاة والبولاة. (٣) أبو العلاء.

«إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» أو رآه قد احتسى من بحر علم الله حسوة!

* * *

إنّ قوماً لم يريدوا أن يكونوا، وما أحبوا أن يكون غيرهم، فذموا الدنيا ذاك الذم، وصبغوها للناظرين بأردأ صبغ، بأبشع صبغ: «غرارة ضرارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكالة غوالة[1]» كما يقول قطري، إن كان قال هذا. وهجوا قطين الأرض، أهل الدنيا شر هجاء:

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها ... ما في البرية كلها إنسان[2]
أتمنى على الزمان محالاً ... أن ترى مقلتاي طلعة حر[3]
زمان يمر، وعيش يمر ... ودهر يكر بما لا يسر
وحال يذوب، وهم ينوب ... ودنيا تناديك أن ليس حر[4]

وإذا سمعوا المتفائلين الخلص يقولون: (ليس في الإمكان أبدع مما كان) تحدوهم صائحين: (ليس في الإمكان أقبح مما كان)
وما النجاة عندهم لمرتجي خلاصه مما يقاسي ويرى إلا في الانتحار

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا إن يكن أمانيا

ولهم في قتل الناس نفوسهم وتزيينه أقاويل، شرحها طويل. وهؤلاء القوم الذين سماهم المصطلح العربي بالمتشائمين واسمهم بالفرنجي (Ressimistes)[5] بسيمست. إما أن يكونوا إلهيين، وإما أن يكونوا دهريين.

«وقالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يُهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم، إن هم إلا يظنون»

ودان أناس بالجزاء وكونه ... وقال رجال: إنما أنتم بقل[6]
ضل الذي قال: البلاد قديمة ... بالطبع كانت والأنام كنبتها
وأمامنا يوم تقوم هجوده ... من بعد إبلاء العظام ورفتها[7]

(١) من خطبة أوردها الجاحظ في «البيان والتبيين» وابن عبد ربه في «العقد» وروى قسماً منها ابن قتيبة في «عيون الأخبار» وعزاها هؤلاء إلى قطري بن الفجاءة. ورواها الرضي في مجموعة «النهج» وقال شارحه ابن أبي الحديد: «قد رأيتها في كتاب «الموفق» لأبي عبيد الله المرزباني مروية لأمير المؤمنين (عليه السلام) وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره وقد لقي قطري أكثرهم» قلت: صائغها عندي مجهول. (٢) ابن المبارك.
(٣) البديهي من شعراء اليتيمة. (٤) ابن مقله.
(٥) صاحب هذه المقالة هو شوبنهور Schopenhaur وصاحب مقالة التفاؤل Optimisme هو ليبنز Leibnez والرجلان جرمانيان، ومقالتاهما متعاندتان. في المخصص لابن سيده: «تعاندت الآراء إذا لم تتفق، وهو خلاف تعاضدت، وأحسبها لفظة فلسفية». (٦) (٧) أبو العلاء

فإن كانوا من الاولين فهل يحق إلا الإيقان كل الإيقان بأن ليس ثمة إلا الحكمة التامة والإتقان

« ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت »

« صنعَ الله الذى أتقنَ كلَّ شىء »

« الذى أحسن كل شىء خلقه »

« صبغةَ الله ومن أحسنُ من الله صبغة ؟ »

والله أعلم من كل عليم وأحكم من كل حكيم

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » ؟

وخلقُك من ربنا حكمة   لقد جلَّ عن لعب أو عبث[1]

وإن كانت برهمية وبوذية تريان الكون شراً ، فليست البرهمية والبوذية على شىء ، ولا يُحتسب بمثلهما[2] . وإن عدها (أرثر شوبنهور) أكمل الأديان طراً من أجل هذا المعتقد

نعم « ما الدنيا إلا عمرَى[3] ولا خلود إلا فى الأخرى[4] » و« والدنيا قنطرة[5] » قنطرة الآخرة ؛ لكن هل علينا أن نقعد فى القنطرة نشهق ونزعق ، ونخمش الوجوه ، ونلطم الخدود ، ونلدم الصدور حتى يجىء الأجل ، حتى يجىء وقت النقلة ، و (الكتاب) يقول :

« ولا تنس نصيبك من الدنيا »

ونطق (الكتاب) فصل الخطاب

وإن كان القوم المتشائمون من الآخرين فسوف يُسألون : هل علمتم كيف كنتم ؟ هل علمتم كيف كانت داركم ؟ إنها كانت داراً تستعر استعاراً ، ولم تزل بقايا خبايا فى الزوايا تضطرم . فاقرءوا تاريخها ، واقرءوا تاريخكم ، ونبشوا صحائف الأنساب

« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً »

وانظروا كيف عادت[6] (محلة)[7] كيف عادت هذه (الغبراء) ، وانظروا كيف عدتم بشراً ، وكيف سدتم أقربين وأبعدين . وإن تأخرمن عترتكم متأخرون إذ تقدم متقدمون ، فتعلموا أن السابقين والمتوفقين المتمكنين لم يبرحوا فى البدء ، لم يبرحوا فى أول الطريق ، لم يبرحوا فى الطور الشنبزى كما قال توماس أدسن :

أشبه بعض ببعض فما   تزال الشمائل قرديه[1]

فأجدر بالدهريين الذين ينشدون :

اجتنب ما سخرت جم   لاَّ له هذى الخليقه
رغبوا فى باطل زور   زهد فى الحقيقه
ليس إلا ما تراه   أنا أدرى بالطريقه[2]

خذ من الدنيا بحظ   قبل أن ترحل عنها
فهى دار لا ترى من   بعدها أحسن منها[3]

فلا يرون أن هناك دارين ، وأن هناك معنيين : معنى هذى، ومعنى تلك ، بل يقولون : كل شىء معناه ومنتهاه فيه - أجدر بهؤلاء ألا يكونوا من المتشائمين فى حين . ومقالهم هذا المقال .

* * *

إن الفتى بكونه سعيد ، بكونه حسب ، قد سعد بما وجد - كما يقول الإنكليز - فذروا التشاؤم فى الحياة يا أيها الناس ، وابهجوا أنفسكم ، واجتذلوا لعلكم لا تحزنون . كونوا من المتفائلين ، من أهل الفؤول[4] ، ولا تشاءموا ولا تطيروا وتمثلوا بهذا البيت وقد تمثل به رسول الله كما ذكر الشيخ فى رسالة الغفران :

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما   يقال لشىء كان إلا تحققا

وكان (صلى الله عليه وسلم) كما روت أحاديث - يتفاءل - ولا يتطير

وكونوا إيثاريين أثريين فى هذا الوجود كيما تقوا أنفسكم ، وكى تصونوا جنسكم ، وتسعدوا وترتقوا . إن الأثرية والإيثارية هما الفضيلتان العظميان متحدتين لا مفترقتين ، وأولى لأثرى كفر بالإيثارية ثم أولى ! وأولى لإيثارى لم يؤمن بالأثرية ثم أولى . إن الأول شرير شيطان من الشريرين ، وإن الثانى - إما كان - لذو جِنة فى الجانبين

واستمعوا المأقول شيخنا أبو العلاء ، فقد أعلنت أقواله الحقيقة وهدت إلى الطريقة ، وعززت شريعة المتفائلين . وفندت مذهب المتشائمين ، وبينت للناس كيف يحيون ، وكيف يقوون ، وكيف يسيرون فى هذا الوجود .

(١) أبو العلاء .   (٢) لا يحتسب به : لا يعتد به .

(٣) العمرى ما تجعله للرجل طول عمرك أو عمره . قال ثعلب : أن يدفع الرجل إلى أخيه داراً فيقول : هذه لك عمرك أو عمرى ، أينا مات دفعت الدار إلى أهله ، وكذلك كان فعلهم فى الجاهلية « اللسان » .

(٤) الزمخشري .   (٥) من أكلامهم .

(٦) العود بمعنى الصيرورة ، وهو كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لاتكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ، ماعدت أراه ، عاد لايكلمنى ، ما عاد لفلان مال « الكشاف » .

(٧) محلة : الأرض ، وكملة السماء

(١) أبو العلاء .

(٢) لأبى محمد عبد المولى رواها صاحب « نفح الطيب » .

(٣) رواها « النفح » ولم يسم قائلها : وذكر قولا لأبى عمران موسى بن سعيد فيها بعدها قال : وهذا كفر صراح ، وقائله قد تقمص كفراً ، اللهم غفراً !   (٤) الفؤول : جمع الفأل .

علل المجتمع المصرى

للدكتور محمد صبرى

أحمد بن طولون — أو سمه ما شئت — باشا بن باشا ، له جاه ومال ، درس القانون وحاز الليسانس ثم وثب فى المناصب وأصبح رئيس مجلس شيوخ ثم عضواً فيه ، فاذا كتبت إليه خطاباً وقلت « حضرة صاحب السعادة احمد باشا بن طولون عضو مجلس الشيوخ » ثارت ثائرته وصخب بل زأر وزبر وقال « أنا رئيس مجلس شيوخ سابق ووزير سابق فيجب أن تذكر ألقابى » ... حتى فى العنوان الذى لا يقرؤه إلا ساعى البريد وغيره من « سعاة »

وقد بلغ بنا التملق بالألقاب الجوفاء أن المجمع اللغوى وهو هيئة محترمة شهرت بالدقة فى التعبير قد رشحت أخيراً لرئاستها رسمياً سعادة « الدكتور » أحمد لطفى السيد باشا ، ولطفى باشا ليس دكتوراً ، ولكنه أستاذ الأساتذة ومربى قادة الفكر الحديث ، وكان يمضى مقالاته فى الجريدة « احمد لطفى السيد » وهذا الاسم فى غنى عن كل لقب وتعريف . وقد يجهل الكثيرون أن احمد لطفى السيد كان الكاتب الأول لرسائل الوفد المصرى إلى مؤتمر السلام إبان الثورة ، وأن مجموعة هذه الرسائل كانت توازى بدقة أسلوبها السياسى وبراعته واتزانه خير ما جادت به القرائح من أمثالها فى الغرب

ولو كانت العبقرية المصرية عبقرية بناء لاعبقرية هدم ، لعرف القاصى والدانى هذه الحقيقة ، ولكان التفاخر بشخصياتنا وآثارهم عاملا من أكبر العوامل التى تساعد على تجديد كياننا وتدعيمه . ولو عرف شبابنا أن هذه الشخصيات المنزوية فى جلالة الصمت وأبهة الشيخوخة — لأنها لا تعرف التهريج — لم تتكون إلا بعد جهد مضن وحياة مملوءة بالتضحية والتعلق بالمثل العليا ، لخففوا من غلوائهم وعلموا أن الوظائف والدرجات ليست هى كل غايتنا فى الحياة ، وأنه ليس مما يشرفنا أن تقوم من أجلها فى هذا البلد الطيب ثورة اجتماعية أصبح ضجيجها على الأبواب

ولكن شبابنا قد اندفع فى تيار الديماجوجية الصاخبة فأصبح يضرب عن تلقى العلم ويتلمس لذلك أوهى الأسباب ، وأصبحت الوظيفة مطمحه الأسمى فى الحياة . وقد ساعد بعض قادة أمورنا على انتشار هذه الروح لأنهم يريدون تأييد السواد الأعظم لهم شقيت البلاد أم سعدت (وبعدى الطوفان ...)

وقد أصبح سلطان الوظيفة عظيما فى مصر حتى أن بعض كبار الموظفين المجردين من كل ثقافة يصيرون أعضاء فى لجاننا العلمية « بحكم الوظيفة » وحدها ، ولو أقصتهم اللجان عنها لحاربوها ..

ومن البينات على سلطان الوظيفة ان بعض الوزراء ووكلاء الوزارات لا يكادون يتركون الحكم حتى تترامى الشركات الأجنبية على أحضانهم وتعرض عليهم المناصب الكبرى الصورية أو غير الصورية فى إدارتها . والواقع أن هناك سياسة عامة متصلة الحلقات متساندة يشد بعضها بعضاً ترمى إلى أغراض واضحة معينة .

وقد كانت الوظائف مستقرة إلى حد قبل الثورة ثم صارت قلقة مقلقلة كأنما أصابها مس من الشيطان ، ولا شك أن الثورة والاضطراب الطبيعى الذى نفثته فى الحياة العامة ، ولا شك أن تكاثر الأحزاب وتعددها ووجود الحياة البرلمانية كان لها أثرها فى « تفاعلات » الوظيفة وتقلب الوجوه عليها من وصوليين وصرائين واللاعبين على الحبل وماسكى العصا من الوسط ..

وقد أخبرنى رئيس حزب كبير فى سويسرا مرة أن مصيبة الأحزاب أنها تفتح ذراعيها لكل من هب ودب من أنصارها (وكل يدعى حباً لليلى . .) فاذا كانت هذه حال الأحزاب فى أوروبا فكيف تكون حالها فى مصر ؟ فى أوروبا يجد الحزب بفضل كثرة « الرجال » نقطة توازن لحياته ، أما فى مصر حيث الرجال قليل ، وإن تكاثر الطغام ، فان حياة معظم أحزابنا الداخلية مسرح تُمثَّل عليه فى مضطرب ضيق ألوان الهازل والمآسى والمطامع التى لا تربطها رابطة بمبادىء الحزب وأغراضه

فالثعابين والذئاب والأفاعى تكاد تجدها تسعى حثيثاً صباح مساء ، وتزحف وتدب ، وتتزاحم ، وتجتمع وتتفرق ، وتنطوى وتنتشر فى كل حزب وفى كل ناحية من نواحى المجتمع ولكن من خلف ستار

محمد صبرى

الصراع بين الاسلام والوثنية

صراع من أجل تقديس المبادىء دون الأشخاص

للدكتور محمد البهى

الوثنية عبادة المحسوس المشخص ، وعبادته تنطوى على تعدد المعبود أيضاً ، لأن المشخص بحكم تشخصه محلى يحدده زمانه ومكانه . والأمكنة مختلفة والأزمنة متتابعة ، ولهذا كانت آلهة الوثنيين متعددة . والجماعات الوثنية وإن اتفقت فى عبادة مافى الطبيعة من أنهر وجبال وكواكب وأفلاك وغير ذلك إلا أن معبوداتها مع ذلك كانت مختلفة . لأن مافى طبيعة إقليم لجماعة يختلف بالشخص عما فى طبيعة جماعة أخرى .

هاجم الإسلام الوثنية ، وهاجم تعدد الآلهة ودعا الإنسان إلى عبادة إله واحد لا يعرف تشخصه ولا تحد حقيقته ، لأنه فوق الطبيعة وفوق مافيها من أشخاص وجزئيات محددة . صنع الإسلام ذلك لأنه أراد للانسان هدفا أسمى مما فى عالمه . أراد أن يكون خضوعه وأن تكون طاعته لغير من يجوز عليه التغير والفناء . والمتغير الفانى ليس إلا أشخاص هذا العالم الذى نعيش فيه . أراد له هذا لأن خضوع الانسان للمتغير الذى يعتوره الفناء معناه التقلب فى الانقياد على نحو يجعل الإنسان مضطربا فى التوجيه فى حياته ، ومضطربا فى الغاية ، وأخيراً مضطربا فى دوافع العمل والسلوك . فضلاً عن أن تشخص المعبود يؤدى إلى تقليل قداسته أو التضييق من تعظيمه . وذلك بتوالى انكشافه وتعرفه . وإذا قلت القداسة وضاق نطاق التعظيم ضعفت الطاعة أيضاً أو تلاشت ، وعندئذ لاتصلح القيادة أو لاتوجد . ولذا كان غير المحدد هو وحده محل تعظيم الانسان ومحل خشيته ، وبالتالى إذا عبد نال من التقديس والطاعة بقدر خفائه وعدم الوقوف عليه من الانسان

الوثنية وتعدد المعبود إذاً متلازمان . والوثنية وتشخيص المعبود أيضاً متلازمان ، وقد تفضى الوثنية مع ذلك ، أى مع تعدد المعبود وتشخصه ، إلى عبادة إله وراء ما اتخذته من آلهة فى الأرض أو السماء غير مشخص وغير محدد وقد تلقبه برب الأرباب أو بخالق السموات والأرض . وهى إن أفضت إلى هذا عدت شركا لأنها أشركت مع الإله الذى يجب أن يعبد وحده ، وهو الإله الطبيعى ، آلهة أخرى تعد فى ملكوته وتصرفاته ؛ أشركت مع الإله الذى لايحد ولا تدرك حقيقته آلهة أخرى محددة مشخصة .

فمهاجمة الإسلام للوثنية ومهاجمته للشرك ، ومهاجمته لأهل الكتاب الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وقالوا إن الله ثالث ثلاثة وأشركوا مع الإله الطبيعى إلهين آخرين مشخصين هما عيسى ومريم ؛ مهاجمته هذه كانت لأجل أن يرفع الإنسان من عبادة الشخص المحدد المتغير الفانى إلى ماوراء ذلك مما له الدوام والاستقرار . وإذا كان له الدوام والاستقرار كان حتما له الكمال لأنه يعلو عندئذ الاحداث وتقلباتها ، أو لأنه لايخضع لها كما يخضع المتغير . والخضوع فى ذاته نقص ، والاستقلال والاستغناء فى ذاته كمال .

وإذا كان المعبود كاملاً ، وإذا كان دائم الكمال ، شرف الانسان بالخضوع له ، لأنه أعلى قيمة منه . وبقيت كذلك وجهته فى الحياة ثابتة لاتبدل فيها وهى وجهة الكمال المطلق

وكفاح الإسلام ضد عبادة الأشخاص او الذوات المشخصة قصد به إذاً إشعار الانسان بكرامته وبقيمة ذاتية له لأنه جعل خضوعه فحسب لمميَّز عنه وعما فى الكون كله ، كما قصد به توجيهه فى حياته إلى هدف باق هو الكمال الذى لايتغير أو الخير الذى لايتبدل . والصراع إذاً بين الاسلام والوثنية أيضا صراع من أجل تقديس المبادىء دون الاشخاص . إذ ليست المبادىء إلا المعانى العامة ، ولعمومها هى باقية فى كل مكان وزمان لاتخضع للتغير والتقلب .

***

وفى طى مكافحة الإسلام للوثنية مكافحته انقياد الفرد لفرد آخر لذاته دون رعاية لما يحمله من مبادىء أو فكر مثالية . وكان انقياد المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم لا لأنه محمد بن عبد الله ، بل لأنه رسول الله ، أى لما يحمله من رسالة ربه وليس لذاته كفرد من الافراد « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . وكذلك كان انقياد المؤمنين حقا لرسلهم . ولهذا لم يكن من

المنطق فى شىء أن يدعو الرسول لعبادة نفسه من دون الله أو مع الله ، لأن الدعاء لعبادة نفسه على العموم يتناقض مع دعوى الرسالة التى تنطوى على أن قيمة الرسول فى صلته بالله . « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »

وما عاب الإسلام على أهل الكتاب من المسيحيين تأليه عيسى وإشراكهم له مع الله فى معنى الألوهية إلا لأن فى تأليه عيسى معنى التبعية للشخص دون المبدإ . والذى دعاهم إليه ليس إلا التجاوز بالعبادة من الشخص إلى ما هو أسمى منه وهو الباقى الذى لا يتغير ولا يفنى . وبهذا إذا استمعوا لدعائه ، التقوا مع المسلمين فى هدف واحد . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . . » ، « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد ... » .

وما الإستمرار الذى طلبه القرآن من المسلمين فى الدعوى إلى الخير بقوله : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... » إلا وسيلة المحافظة على فصل الإنسانية بين المبدأ والشخص كما طلب الإسلام ، والاخشية من أن يؤول الأمر ، إذا أهمل المسلمون إلهاب شعور الفصل هذا عند الإنسان ، إلى الوثنية فى صورة ما ، وهى الإنقياد للشخص لأمر آخر غير المعانى العامة الثابتة التى مرد جميعها إلى الخير المطلق والكمال الدائم . ومن السهل ، إذا لم تستمر الدعوة لما وضعه الإسلام من هدف ، أن ينجذب الإنسان إلى الإنقياد للشخص لأن التشخص ناحية مادية ، والمادة أرجح كفة مما وراءها فى نظرة الإنسان الأولى .

والأديان السماوية كلها ، وفى مقدمتها الإسلام ، متفقة على توجيه الإنسان نحو المبدإ دون الشخص ، أو متفقة على أن تكون عبادة الإنسان لما هو وراء المادة ، وما وراءها هو غير المتغير . ولعدم تغيره كان وحده إذا قورن بالمادة كاملا . وتعدد الأديان لا يقتضى اختلافها فى هذا التوجيه ، بل لأن الإنسانية لم تحرص فى فترات متفاوتة عليه . ولذا كان لا بد من تجديد ايقاظ هذا التوجيه عندها . والدين اللاحق إذاً هو بمثابة تجديد لدعوة الدين السابق . وإن وجد اختلاف جوهرى بينها فنشؤه إذاً رجال الدين أنفسهم لأنهم بإصرارهم على أفهامهم فى الدين وقد تكون بعيدة عن هدفه العام وبمرور الزمن على هذا الإصرار يختلط ما أصروا عليه بما الدين فى الأصل إذا نقل عنه . وتحريف الكلم عن مواضعه الذى ينسب إلى رجال أى دين من الأديان منه هذه الأفهام البعيدة التى أصروا على أنها لدين . « إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ... » .

* * *

وليس الإلمام بمعارف الإسلام أو أداء رسومه الظاهرة هو عنوان سيطرة الاسلام على الفرد أو الجماعة أو على نسبة الفرد أو الجماعة إليه ، بل عنوان ذلك وحده هو الفصل على نحو ما ذكرنا بين الانقياد إلى الشخص أو إلى المبدإ . كما أن هذا الفصل نفسه عنوان رقى الفرد أو الجماعة لانه ينطوى على شعور الفرد أو الجماعة بالكرامة أو بالقيمة الذاتية وعلى ما يسمى بالسمو الروحى أو النفسى ، كما أن العكس وهو رواج الانقياد للشخص أكثر من الانقياد للمبدإ دليل على عدم سيطرة الدين وبالتالى على عدم نضوج الفرد أو الجماعة .

ويخطىء إذاً من يفرق بين الدين وضروب الثقافات الإنسانية الأخرى فى توجيه الانسان ، فيجعل الدين منزلة ثانية ، لأن هذه الضروب من الثقافة إن كانت موصلة لرقى الفرد والجماعة موصلة لتهذيب الإنسان وإشعاره بكرامته وموصلة لتحقيق معنى الصالح العام فى الجماعة التقت مع الدين فى هذا الغرض وامتاز الدين عنها بتجرده المطلق عن التحيز لجماعة إنسانية دون جماعة أخرى . وعلامة الصالح العام فى الجماعة تقدير المبادىء العامة التى لا تخضع للتغير والتى تتسلسل جميعها فى النهاية إلى مبدإ أعلى للوجود كله وهو الله .

ولأن الدين ، وبالأخص الإسلام ، له هذه المنزلة لا تكون

مغالين إذا حكمنا بأن خلو التوجيه منه فى الجماعة نقص فى التوجيه نفسه ، لأن الثقافة الإنسانية التى تستخدم فى التوجيه عندئذ مهما أكدت معنى المبادىء والمثل العليا فإضافتها للانسان توحى تشككا فى أبدية ما فيها من مبادىء ومثل ، أو يؤول أمر نسبتها للانسان إلى تقديس الإنسان دون اعتبار حمله هذه المبادىء .

* * *

ولا نبعد عن الصواب كثيراً إذا حكمنا على بعض علماء الدين بأنهم لم يفهموا الاسلام إذا جعلوا من قوله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » ثلاثة أنواع من الطاعة ، لأن الهدف الأخير للاسلام هو طاعة الله وحده ممثلا فى الرسول باعتبار كونه حاملا لرسالته ، وفى أولى الأمر باعتبار كونهم قوّامين على تنفيذ ما ورد فى هـذه الرسالة فى الجماعة الإنسانية . وفى هذا قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » والحديث الشريف : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصا الله » .

ولا نبعد أيضاً عن الصواب كثيراً إذا ذكرنا أن الوثنية التى حاربها ويحاربها الاسلام ليست هى وثنية العرب التى كانت قائمة على تقديس الاصنام وبعض الكواكب فحسب ، بل هى وثنية الإنسانية على العموم ، وهى تقديس الشخص دون رعاية للمبدأ أو المثال . وهى لا تزول من هذا الوجود ما دام للانسان ناحية مادية وأخرى روحية ، وما دام للوجود كله أيضاً جانبان: جانب ظاهرى هو الجانب المادى ، وآخر مستتر وهو الجانب المثالى أو المعنوى ، وما دام انجذاب الإنسان إلى الجانب المادى بحكم ظهوره أكثر من انجذابه إلى الجانب الآخر . ولسهولة انجذابه إلى الجانب المادى كان هو فى حاجة على الدوام فى الكفاح ضد هذه الوثنية أو كانت الإنسانية كلها — إذا ابتغت الرقى — فى حاجة أبداً إلى دين سماوى هو الإسلام . لأن الإسلام آخر مظهر للأديان السماوية على طبيعتها صانه الرشد الإنسانى فى التدوين والرواية عن أن يختلط ببعض الأفهام المنحرفة فيه . فكلمه لم يحرف عن مواضعه كما حرفت الديانات السابقة عليه . إذ الإنسانية وقتئذ أى وقت تحريف هذه الديانات لم تملك الشجاعة الكافية فى كتابة التاريخ حراً دون التأثر برأى رجال الدين ودون رعاية لسلطانهم ، فكان الدين المؤرخ هو رأى رجاله وكان رأى رجاله هو التعبير عن الدين .

وإذا كانت الإنسانية منذ القدم فى حاجة إلى معونة الدين فى مكافحة الوثنية ، وكانت حاجتها هذه قائمة على طبع فيها وهو ميلها النفسى إلى الصفحة الظاهرة من الوجود وهى الصفحة المادية ، فالدين إذاً ليس لعهد دون آخر . إنما الذى يخلع عليه البلى أو يجعله الماضى فقط هو فهم رجاله وعمل الدعاة باسمه ، أو هو غرور الإنسان بالإنسان . إذ منذ قيام العهد الإنسانى وهو منذ عصر النهضة الأوربية أخذ الإنسان يؤمن بنفسه ثم بالغ فى هذا الايمان حتى طغى أو حال دون إيمان له نتيجة عملية لشىء آخر فى هذا الكون . ومنذ قيام هذا العهد أيضاً كان عمل رجال الدين بعيداً عن مقصد الدين . وبذا كانت فجوة بين الاتجاه الجديد فى الحياة الإنسانية وبين تمثيل الدين فى رجاله : الاتجاه الجديد فى الحياة الإنسانية يؤمن بالقيمة الذاتية للانسان ، ويؤمن بالمساواة بين الأفراد لا عابد ولا معبود بينها ، ورجال الدين بعملهم يصورون الدين منحرفا عن هذا الاتجاه .

* * *

ونفع الجماعة الإنسانية الحاضرة إذاً بالدين متوقف إلى حد كبير على حاجة رجال الدين أنفسهم إلى الدين فى مكافحة هذا الانحراف ؛ متوقف على أن تكون الدعوة باسم الدين إلى الله وحده لا لإنسان آخر غيره مهما عظم ومهما كان له من سلطان. وهكذا أرباب الدعوة قد يحتاجون أنفسهم إلى الدعوة ، ولكن على يد من لا ينسبون أنفسهم إليها .

محمد البهى

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزي الشتوي

بخار البصل يقتل الجراثيم

تقرر الأبحاث العلمية الأخيرة أن البصل والثوم وكل نبات قوى الرائحة من أفتل المواد للجراثيم ، وأ كثرها وقاية للجسم من الأمراض

تجاهل جميع الباحثين أمر البصل مئات السنين رغم أن فلاحي اسكتلندا اعتقدوا أنه يقضى على الزكام والبرد ، ورغم أن الأوربيين والمصريين علقوه على أبواب دورهم ليقيهم شر الحيات . ولفتت الظاهرة نظر الدكتور توكين وأتباعه الروسيين ، فأجروا تجاربهم ووجدوا أن البصل والثوم وغيرهما من النباتات القوية الرائحة تحتوى على زيوت أساسية تقتل البكتريا والجراثيم ، وبويضات بعض الحيوانات الصغيرة . فأطلقوا على هذه المادة القاتلة إسم « فيتونسيد » . ولم يوفقوا بعد إلى معرفة تركيبها الكيماوى ، وإن عرفوا أنها سريعة التبخر ، فإن تعريض عجينة من الثوم أو البصل للهواء من ١٠ إلى ١٥ دقيقة يفقدها كل قدرتها على قتل الجراثيم والبكتريا ، ولهذا كان من الضرورى استعمالها عقب تحضيرها مباشرة

وتختلف الطريقة العلمية لاستعمال عجينة البصل عن طريقة جداتنا اختلافاً يسيرا . فبعد أن يدق البصل لا يوضع على الجرح ، بل يوضع فى وعاء من الزجاج بسعة الجرح ، وعلى فوهته يوضع لوح ليتاق بخاره لمدة عشر دقائق على فترتين كل منها خمس دقائق . وتستعمل عجينة جديدة فى كل فترة .

بدأ الأطباء الروسيون تجاربهم على ٢٥ مريضاً . ولكن قلة البصل عندهم اضطرتهم إلى قصر التجارب على ١٩ مريضاً فقط . منهم ٧ بترت أذرعتهم ، وواحد ساقه وثلاثة أقدامهم ، واختير المصابون ممن ظهرت فى جروحهم حالات التسمم والصديد؛ وكانت رائحة بعض الجروح منتنة ، وأنسجة الأعضاء متورمة يصرخ أصحابها من الألم .

وعولج المصابون ببخار البصل فترتين متتاليتين كل منها خمس دقائق . فتوردت كل الجروح بدل أن يطغى عليها اللون الرمادى . وأحس المرضى بآلامهم تزول . وفى المرة الثانية قلت كمية الصديد واختفت الرائحة النتنة . ومرت خمسة أيام بدأت فيها الأنسجة نموها الطبيعي . ولم تحدث مضاعفات فى أية حالة ، فاقتنع الأطباء بما فى زيت البصل والثوم (فيتونسيد) من قدرة على التغلب على تسمم الجروح .

واستمر الدكتور توكين ومساعدوه ١٤ سنة يدرسون خواص الفيتونسيد القاتل الميكروبات والجراثيم ، فدرسوا ١٥٠ نباتاً وأثبتوا أن البصل والثوم من أغنى النباتات فى هذه المادة الواقية التى تستطيع قتل جراثيم خطرة مثل جراثيم حمى التيفوس على أنهم وجدوا أن نسبة تركز هذه المادة فى أجزاء النبات مختلفة ، فأ كثرها وأقواها فى قلب النبات وجذره ثم تتدرج فى القلة إلى أن تكون على أقلها في الأجزاء الخضراء . ولعل هذا يفسر تعفن البصلة « تعفن » عند فصل الجذر عنها .

ووجدوا أيضاً أن بصل وثوم الخريف والشتاء أوفر فى مادتها القاتلة من مثليهما فى الصيف والربيع . وتقل مادة « الفيتونسيد» فيهما كلما طال بهما التخزين . فإن كانت عملية التخزين رديئة فقدا مادتهما الثمينة وصارا أوساطاً جيدة لنمو الجراثيم مما نشاهده من تعفنهما إن طال بهما الزمن .

وأوصى باحثان باستعمال عصير البصل والثوم كعلاج منزلى عند الإصابة بالبرد . فنصحا بمضغ الطازج من النباتين من ثلاث دقائق إلى ثمان . وربما أنتج مضغهما لمدة دقيقة واحدة . فإنهما وجدا أن هذا المضغ يؤدى إلى القضاء على جراثيم الغشاء الداخلى للوجنتين والفم ، أو إلى توقف إفرازاتها .

وهناك ظاهرة أخرى يلفت إليها العلماء الأنظار من حين إلى آخر ، وهى قدرة عصير البرتقال أو الطماطم أو غيرهما من النباتات الصنوبرية (المخروطية) على شفاء الجروح . وعزوا هذه النتائج فى بعض الحالات إلى احتواء العصير على كميات من الفيتامينات .

على أن العلماء الروسيين يخالفون الآخرين فى اعتقادهم ويعزون قدرة هذه الأنواع من العصير على قتل الجراثيم إلى احتوائها على مادة الفيتونسيد التى عرفناها فى البصل والثوم . فهل لعلمائنا وأطبائنا أن يولوا البحث نصيبه ويقولوا كلمتهم فإن وصفاتنا البلدية أ كثر من أن يحدها حصر ؟

الغذاء كعلاج لضغط الدم

تمكن أحد الأطباء من تخفيض حالات الإصابة بضغط الدم في ٦٠ ٪ من مرضاه بواسطة التغذية . وضغط الدم من الأمراض الشديدة الوطأة وخصوصاً على كبار السن ، ويتعذر شفاؤه في كثير من الأحيان . وقد درس هذا الطبيب حالات المرض والأغذية الملائمة له فوفق إلى تحديد غذاء من الأرز وعصير الفاكهة والسكر والفيتامينات ومواد حديدية . وهى تفيد المصابين بضغط الدم وبالكلى .

ويرى الدكتور كمبنر صاحب هذه النظرية أن الكلى تتعطل عن تأدية إحدى وظائفها فتعجز عن تحويل بعض المواد الزلالية إلى بول بسبب قلة الاكسجين مما يؤدى إلى ارتفاع ضغط الدم . فلجأ إلى الأرز ليخفف كمية الزلاليات عن الكلى ، فتقل المواد الضارة التي تسبب ضغط الدم .

ومع أن نجاح هذه التغذية لم يكن كاملا مع جميع المرضى فإنها لم تؤثر عليهم تأثيراً ضاراً ، ولهذا يفكر بعض الأطباء فى استنباط نظام تغذية له نفس التأثير على مرض السكر

أثر التغذية فى الجهود العقلى

لأول مرة فى التاريخ البشرى يجرى أحد أطباء جامعة مانيسرتا تجربة غذائية على الناس ، والغرض منها دراسة تحول السكر إلى مواد غذائية ، وعلاقته بالفيتامينات ومدى تأثيره على جسم الإنسان فى نومه وفى نشاطه . وكانت مثل هذه التجارب تقتصر على الحيوانات لخطورتها . ولكن العمليات الحربية فى المحيط الهادى دفعت إلى إجراء هذه التجارب على الناس ، فعلى ضوئها تصرف وجبات الطعام للجنود .

ويعيش المتطوعون فى هذه التجربة فى عنابر نوم تابعة لمعمل الطبيب ، ويتيسر فيها رفع درجات الحرارة والرطوبة إلى أن تصل إلى مثيلاتها فى المناطق الحارة ، أو خفضها حتى تصبح جزءاً من المناطق القطبية .

وتعطى جميع وجبات الطعام فى المعمل ، فيوزن كل غذاء يتناوله المتطوع ، ويؤخذ جزء مساو له فى الوزن ليحلل كيماويا لكى تعرف قيمته الغذائية . ويمنع المتطوعون بتاتا من تناول أى طعام خارجي . ولوحظ أن من يحرمون من تناول المواد المحتوية لفيتامين (ب ، ا) يفقدون كل شهية للطعام ، ويعجزون عن إبقاء أى طعام فى بطونهم . وأحيانا يتعذر عليهم برغم كل ما يبذلون من جهد الاستمرار فى تناول وجبات معينة .

ومن المعروف أن النشاط الذهنى أو البدنى شديد الصلة بالتغذية ، ولهذا يقاس مدى نشاط المتطوعين فى مختلف الوجبات بأنواعها ، كما يفحص تأثير البيئة الباردة أو الحارة أو الرطبة على الحالة الغذائية ، وحتى فى أوقات الرياضة فى الهواء الطلق تؤخذ عينات من دم المتطوعين لتحليلها ودراستها بالنسبة لكمية الهواء .

ويقول الدكتور كايس الذى يشرف على هذه التجربة : إن كثيراً من الأبحاث دار حول تحول المواد السكرية إلى مواد حية فى جسم الإنسان ، ولكن قليلا منها طبق بمثل هذه الدقة . فإن أضفنا إلى هذه التجارب معلوماتنا المتزايدة عن الفيتامينات فإنه يعتقد أنه قد حان الوقت لكشف تفاصيل تحويل المواد النشوية والسكرية إلى أنسجة حية فى الجسم ، كما أننا سنعرف الظروف التى يجب توفرها للفيتامينات للانتفاع بالسكر كوقود إنسانى .

فوزى الشتوى



الجـــارم البرىء

للأستاذ حبيب الزحلاوى

تتمـــــة

لقد انقلبت طفلا ولابستنى حالة جديدة ليس فى وسعى تصورها . صرت أرعى زوجى الحامل كرعاية الأم رضيعها ، وأحرص على القرش الواحد كما لو كان ديناراً ذهباً . كنت اصدف عن الصحاب وازور إذ ألقى ضيوفا فى منزلى ، ووددت لو أحتاز خيرات العالم أقدمها هدية لولدى العزيز . قلت لصاحبى فى شىء من المباسطة بنية إقشاع السحب المنتشرة — فوق نفسه ، بخيل إلى أن « العامل الخفى » فى زوجتك هو الذى جملك لجوجا وتابا تقدر الأشياء بمقدار التخيل والتصور . وقد لايؤذيك اذا قلت لك بصراحة الصديق الصادق إن بلوغك « سر المرأة » ابتعث فيك الشهوة عنيفة حادة . اطرق قليلا وأجاب « الشهوة حيلة ارادة الحياة الكبرى على البقاء » نحن يا صاحبى نخلق الجمال ونعطى المعانى للاشخاص والأشياء . فالمعنى الصحيح لسر المرأة الراحة والطمأنينة . صمت هنيهة ثم اردف « أن رجلامثلى مفطور على العناد — والمغالبة والكبرياء لايرضيه الاستسلام والليونة والركون شأن أكثر الأزواج ... ثم تابع قوله كانت زوجتى ... فقاطعت كلامه قائلا : انتقال من الموضوع بارع ثم تقول . كانت زوجتى ، وكانت هذه تدل على فعل ماض ، فأومأ ان أتريث وتابع الكلام ، كانت زوجتى ، أجل كانت زوجتى على شىء عظيم من عزة النفس والكبرياء والمغالبة ، وأنا أنا الذى انميت فيها هذه الصفات وتعهدتها بدراية وحكمة ، كان يلذ لى أن تعلو حجتها على حجتى فأرضخ للحق ، وان يصدم عنادها عنادى فتنتهى الى الرضا . ولم يبلغ كبرياؤنا فى ظرف من الظروف حد الغرور ، بل كنا نخلق الخصومة نورى بها الذهن فنستصبح بومضات الروح منبثقة من ظلمات المجهول ، من هذا التناسق والاتحاد جعلنامواد بناء حياتنا الزوجية ، وقد استخلصنا من ضروب أنواع الحب فى فوضى الحياة خيطا كان لنا بمثابة « الهارمونى » من نشيد العمر ، يرتفع بفرحة الثابة من الوجود الانسانى الى أسمى مقام ، أما خيط حياتى هذا فقد انقطع ، أنا الذى قطعته بيدى ، أجل يا صاحبى أنا الذى قطعته بيدى . لقد حطمت جرة السمن فاندلقت أحلامى ، أنا الراعى الغبى ، وانساح أملى فى الرمل ، أنا الحى الضائع ! ! نظرت الى عينيه فاذا بنورهما قد ناص كمصباح نضب زيته ، وأجفانهما تكسرت وجدت فيهما دمعتان ، وعندما أخذ يتابع الكلام توهمت — الصوت آتياً من بعيد قال ، ذهبت وزوجتى ذات عشية الى وادى المرايش ، وما كدنا نأخذ مكاناً قرب النهر حتى توافد الصحاب ، فاتسعت الدائرة ، واتسقت صفوف الاقداح وشمشت النفوس فانطلقت الألسنة . لم تهدأ جلبة السكارى الا حين ارتفع صوت المغنى يشدو « العتابه » برنين شجى وصوت رخيم تشترك مع معانى العتاب فى تطريب النفس — واثارة مافيها من حزن وفرح وقد استفاض صدرى باحساس مضطرب إذ سمعت المغنى ينشد « غربوا أحبابى » وشعرت كأن أحبابا تناديني ، لقد فاض الدمع من عينى وانهمر ، لا شك انه دمع حنان النفس التى تضطرب فيها الآلام جميعاً ! ! ! ، فى هذه اللحظة تلاقت نظراتى بنظرات زوجتى ، فاعتلج فى صدرى شوق مفاجيء يدعونى بالحاح الى العودة الى أميركا حيث أموالى المتروكة فى بلاد الناس ، وعندما عدنا الى البيت سألتنى زوجتى متى نسافر الى أميركا ؟ فى تلك الساعة عقدت النية على العودة الى الوطن الثانى ، وفى تلك الليلة المشؤومة انتهى كل شىء ! ! ، أجل يا صاحبى فى تلك الليلة الملعونة انتهى كل شىء فى وجودى وبقيت وحدى كحروف رسالة بليدة جائعة على قرطاس ، أخذ صوته يرتفع ونبراته تشتد ، وأمسك يدى بقبضة متصلبة وقال أنت تعرف أبنية زحلة متلاصقة ومنازلها متلاحمة لايفصلهما من الجيران فاصل ، قلت أعرف ذلك ، قال : كنت أسكن بيتاً من هذا الطراز القديم لانه أقرب الى احساسى وألصق بذكريات طفولتى ، هذا البيت الذى كنت إخاله بقعة اقتطعتها الملائكة من فراديس النعيم قد انقلب بلحظة واحدة الى قبر فى الجحيم تحوطه نيران قلبى وألسنة الناس ، قلت : أكتشاف خيانة ؟ ، نظر إلى نظرة استخفاف خلتها تهز مكمن كبريائى

فخجلت ، واستطرد قائلا : في هدأة الليل حيث كل شيء هادىء الا عيون السماء ، دوى الوادي أو توهمت انه دوى بصوت استغاثة قريب صادر عن قلب هلوع ، الحرامي ، الحرامي ... النجدة . . . النجدة ! وتلاه ولولة امرأة مخلوعة اللب وعويل أولاد ... استيقظت بلا وعي أترنح من الذعر أو من الشجاعة ، تناولت مسدسي من تحت الوسادة وهرعت لاقتنص السارق ، لم يكن في وسعي ترتيب التصورات المتداعية والخيالات التي تراكمت في ذهني وازدحمت فيه مبلبلة مشوهة ، توهمت السارق عميداً من عمداء الجبابرة سلطته قوى مجهولة تتربص بي لتنتزع مني زوجتي أم ولدي ، وارث أموالي ومخلد ذكري . لقد جن جنون أنانيتي وثارت في فطرة ، فطرة الانسان ، أو غريزة لبوة بكرية اقتحم وحش ضار عرينها فهبت تدافع عن أشبالها ، كنت أروح وأجيء وأتوهم اني أقفز من سطوح الى سطوح ، ادور حول نفسي كاللولب ، أنادي السارق بصوت متهدج أجش ، اختلط صوتي بعجيج أصوات عشرات الشبان الذين خفوا مسلحين للفتك بالسارق ، إن السطو على منزل في رحلة عروس مدن لبنان انما هو تحد لكرامة أهلها واستهانة بتقاليدهم ونخوتهم ، لمحت شخصاً مائلا قبالتي فتصورته عملاقا من الجن ينقض علي ، أحسست بالعملاق الجبار يرفع يديه ليسحقني ... اطلقت رصاصة أو انطلقت من المسدس رصاصة ردد الوادي صداها . أصابت الهدف فسقط الجسم بدون حراك ، أيقظني الانتصار من غفوة الذهول ، فتنبهت الى نفسي واذا أرى حولي طائفة من الجيران أقبلت على صوت الطلق الناري ، سمعت صراخاً وعويلا وحسرات فيها كل معاني الألم والحزن والشفقة ... أشعلت الأنوار ، تجمع الناس ، تبينت الوجوه ، فاذا بالعيون — تحدجني بنظرات أسى وحيرة ملتاعة مضطربة ، دهمنا الجند فاذا بهم يطبقون على القاتل يجردونه من سلاحه وقد دل الجيران عليه . يا للأجناد الاجلاف ! يا لرجال التحقيق ما أطيب قلوبكم لقد منوا علي — تكرما منهم باطلاق حريتي ريثما أرافق جثمان زوجتي فأواريه التراب ؟ ! ! ! ، ويلاه لقد جمد جسمي في تلك الساعات وتبلد شعوري وزاغت نظراتي ، كنت اعتصر عيني ، استجدي قلبي قطرة من دمه ، ولساني كلمة واحدة انطق بها ، كنت أرى جثمان « عني » مسجى في النعش على رأسها أزهار الليمون الذي زانته بها يوم اكليلنا وقد غطى الورد ثوبها الأبيض الغارق بالدم ، وكنت كقمة الجبل الشاهق جموداً وبرودة . وهأنذا أحس بالوقائع ماثلة أمامي أسورها لك وفق الرؤى والشعور ، أحسست الأرض تدور بي والآلام تنساب في نفسي تنهب وتنوش أعصابي . أما محدثي فقد اعتدل في جلسته واشتدت نبرات صوته وقال : من السخرية الاستعانة بالعدل الإلهي واحترام شرائع الناس ؟ ! ! أليس رعونة أن تبرأ ساحة القاتل ويطلق من عقاله ولما يجف دم المقتول بعد ؟ أليس ظلماً أن تعاد إلى حريتي أنا القاتل الأثيم ؟ أين القصاص من الحياة ؟ أمن العدل أم من الظلم أن أجوب الأرض ، أتسكع في الشوارع ، أطوف حول الذكريات ألمس آثار الحياة وأنا ميت القلب والروح ؟ ؟ اسمع ياصاحبي ليس العدل والشرائع والقوانين والأديان نفسها تستطيع أن تشفي أدواء الناس ، انما الذي يستطيعها هو الضمير ، . وسأنفذ أحكامه التي أرتضيها لنفسي حاكما محكوما . استملنا كلانا للصمت : توهمت صاحبي المسكين لايواصل رحلته إلى أميركا بل يترك الباخرة عند أول ميناء يتطوع للحرب حتى الموت ولكن سرعان ما استلمح هذا الخاطر يتوارى في طيات كلامي حتى قال لي ضاحكا : أتحسب الموت يقضي على الموت ؟ قلت لاأفهم ماذا تعني . قال : ولا أنا أيضا أفهم كيف أقضي بيدي على حياة ألقيتها في غيابات العدم ، بل أفهم أني سأبقى في فراغ يتساوى والعدم ، وسأستمهل الموت حتى التي في كل ساحة ميتة تكفر عن جنايتي . ، طفرت دمعة كبيرة من عيني المسكين فتلقاها بمنديله ، وعند ماهم — بالنهوض تخاذل وخانته قواه ، تأبطت ذراعه وأسندته على كتفي حتى بلغ غرفته في الباخرة ، وإذ كنت عائداً لقيت الطلمة من الأميركان وقد تهيبوا سؤالي وانصرفوا يتبع بعضهم بعضاً .

حبيب الزحلاوي

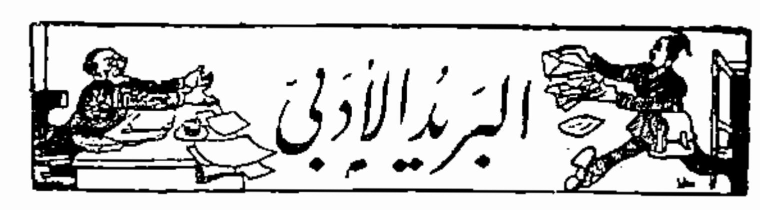
وديعة مدينة سالم

[اقترح صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام في العدد الممتاز من الرسالة على شعراء العربية أن ينظموا ملحمة البطولة من حياة المنصور بن أبي عامر، وهذه محاولة أولى نقتطف منها هذه الأبيات] :

قل للحجيج، إذا ماناله التعب يا أيها الركب: هل أديت مايجب؟
وهل إلى «سالم» خبت ركائبكم وهل هدا كم إليها الجد والحسب؟
وهل رأيتم على آثارها «جدثا»
تطوف من حوله الأفلاك والشهب؟
هذى الحجارة — وهى الآن جامدة —
كم ذا تفجر منها السلم والحَرَب[1]
استخبروها حديث المجد تخبركم
فرب أخرس تعيا دونه الخطب
قولوا لها: يا بنات الصخر ما صنعت
بصفحتيك بنات الدهر، والنوب؟!
هيا صلينا بآباء لنا نجب قد أنجبتهم جدود سادة نجب
مدوا على البحر ظلا من مراكبهم ..
والنصر من فوقهم قد قاد ماركبوا
حتى أتوا شاطئ الأسبان واختلطت
على رباه رماح القوم والقضب
فأشعلوا البحر ناراً من سفائنهم كيلا يكون لهم من خلفهم سبب
وأصبحوا ولواء النصر منعقد
من فوقهم، والمنى من حولهم طنب
حتى إذا أرخت النعماء ساعدهم واستنوقوا ما يشاء اللهو والطرب
ذابت مهابتهم من عين واترهم
كما يذوب بكأس الشارب الحبب
لولا «محمد» وافاها على عجل
والريح عاتية، والموج يضطرب
لغيَّر الريح مجراها، ولا ارتطمت ألواحها بصخور شادها العطب
فتى كبير الأماني من حداثته قد كان يحلم بالعليا، ويرتقب
خمسون موقعة قاد الجيوش بها
مظفراً، فائزاً، للنصر يصطحب
لم يثنه عن لقا أعدائه مرض
ولم يثبطه عن نيل العلا نصب
قد يخمد الجسم من كد ومن تعب
وجمرة الروح تبقى فيه تلتهب
لم يحمل «الزج» منه غير هيكله
وروحه احتملتها السبعة الشهب
فأنت يا «سالم» للمجد قاعدة
تقوم من فوقها الأعلام والنصب
قد أودعتك العلا أغلى جواهرها
واستأمنتك على تاريخها العرب؟

(كلية اللغة) يوسف زاهر

[1] الحرب بالفتح: الهلاك



بيت الكميت

العلامة الدكتور طه حسين تمثل في كلمة له في (المصور) الأغر، عنوانها (عشير الأدباء) ببيت جاء في هذه الصورة

إذا لم يكن إلا الاسنة مركبا   فلا رأى المضطر إلا ركوبها

وقد يخال قارىء البيت أن (كان) هنا ناقصة و (الأسنة) اسمها و (مركبا) خبرها، وإنما هي في هذا الكلام تامة ومركب فاعلها، فالرفع واجب، والأسنة بدل من مركب قدّم فنصب على الإستثناء، ويرفع بعضهم مثله، والبيت للكميت.

أزهري

الحضارة المصرية القديمة وأثرها في الحضارات الشرقية

ألقى الأستاذ ستروف أحد أعضاء الاكاديمية الروسية، خلال شهر ديسمبر الماضي، طائفة من المحاضرات العامة في لنينجراد وموسكو، كشف فيها عن عظمة الحضارة المصرية القديمة. وكانت المناقشات التي تعقب محاضراته تدل على اعتراف المستشرقين الروس بالدور الذي قامت به مصر في تكوين الحضارات الأوروبية والأسيوية

وقد تناول الأستاذ ستروف في إحدى المحاضرات موضوع الأسبقية بين حضارتي مصر وبابل مشيراً إلى وجوب إعادة البحث في هذا الموضوع على ضوء ما ظهر من بيانات أثرية جديدة.

ومما قاله الأستاذ، أنه يؤيد الرأي القائل بان عصر الدولة الوسطى في تاريخ مصر القديمة يعد سابقاً لمصر الأسرة الأولى في بابل. وذلك لا يدع مجالا للشك في أن الثقافة التي ازدهرت بمصر في عصور الدولة الوسطى قد انتقلت إلى فلسطين وسوريا وبدا أثرها في الحياة الاجتماعية بأرض الجزيرة

وكان مدار بحث الأستاذ ستروف في هذه المحاضرة، أثر المدنية المصرية القديمة في ثقافة بلدان حوض البحر المتوسط وآسيا الصغرى، فابان أن مصر كانت مهداً لأول حركة شعبية ترمى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. ثم قال: ونحن نعلم مدى الأثر الذي خلفه المهندسون والرسامون والمثالون وأرباب الصناعات من المصريين في مختلف الفنون، سواء في سوريا أو بلاد الحثيين، وان هذا الأثر انتقل إلى الأشوريين.

كذلك امتدت حضارة مصر إلى اليونان فكان من نتائج هذا أن تهيأت الأسباب لتطور الفن اليوناني

وأشار بعد ذلك إلى القصص والاساطير التي شاعت في عهد الدولتين الوسطى والحديثة وما كان لها من عظيم الاهمية في حضارة العالم، قائلا: انه لا يسع المرء مثلا عند قراءة قصة « السفينة الغارقة » التي كشفها الأستاذ جولينيشيف العالم الروسي في الآثار المصرية في متحف الرهبان بلنينجراد، إلا أن يذكر بطل قصة الأوديسة الاغريقية أو السندباد البحري.

ومن الواضح أن مجموعة القصص التي تتضمن ما كان يقوم به السحرة المصريون من الأعاجيب تعد أعرق في القدم من كتاب (ألف ليلة وليلة) ذي الشهرة العالمية

ونوه الاستاذ ستروف بمدنية مصر من الناحية العلمية، فذكر أن الاطباء المصريين كانوا أول من كشف عوامل مسببة للامراض، وأول من سجل في تاريخ الطب البشري لفظة (المخ) وان هذا الجزء من الجسم إذا اختل أدى إلى خلل أجزاء أخرى

ثم قال المحاضر، إن المصريين قد تمكنوا من قياس مسطحات الاجسام المستديرة، واستطاعوا قياس السطح الكروي، قبل أن يهتدي ارخيدس إلى ذلك بزمن بعيد. كما نوه بفضلهم في وضع التقويم الذي أخذه عنهم يوليوس قيصر، فأصبح بعد ذلك أساساً لحساب الزمن عند الشعوب الاوربية

وانتهى من هذا إلى قوله: ان من واجبنا أن نعترف اليوم بما كان للثقافة المصرية من أثر في حضارتنا الحالية.

إلى الاستاذ حبيب الزحلاوي

[تهنئة بعيد ميلاد ولده نبيل]

أنجبت الدنيا نبيلاً أوّلا   فالله يحبوك غلاماً أنبلا
لم نره لكنّنا نعرفه   لما رأينا منك فيه مثلا ؟

إنا رأينا فيك فضلا واسعا ... فلا يَضيرك أن يكون أفضلا
نرجو له عمراً مديداً سابغاً ... وغَـدَه المأمولَ والمستقبلا
ألاَ ترى فيه الرجاءَ المرتجى ... ألا ترى فيه الضياءَ المجتلى ؟
يُشعُّ في البيتِ سناءً وسنى ... ويملأُ الدنيا لديك أملا
يسألك الشيء فلا تلبثُ أنْ ... تجيبَه حالاً إلى ما سألا !
ينالُ بالدُّموع كلَّ ما ابتغى ... وبالصياح كلَّ ما قد أمّلا
حُبّاً له قد يَسَعُ الدنيا وما ... فيها. فلا تكفيه أعراضُ الفلا
وقد يَرُومُ في السَّماء مَصْعَدا ... ويبتغي بين النُّجوم مَنزلا
براءةُ الأملاكِ فيه اجتمعتْ ... والطهرُ في صفاته تمثَّلا
لا يحمل الحقدَ ولا يعرف من ... دنيا الأنام آفةً أو عِلَلا
ولا يدُوسُ بالنفاق سَحاً ... ولا يخوضُ بالرِّياء وَحَلا !
سبحان من قد صوَّرَ الطفلَ على ... خير مِثالٍ في الحياة شُكِّلا
قد صاغه من السلام مَلَكا ... مجسَّداً وبَشَراً ممثَّلا ..
لكنه غداً يقود عالَما ... إلى القتال أو يسوق جحفلا ..
وقد يقيم للدمار مدفعا ... وقد يعد للقتال مُنصُلا
وقد يَفُضُّ بالسيوف مُشكلا ... ولا يحُلُّ بالكلام مُعضلا
فإن أصاب جملوه غازيا ... ولقَّبوه فاتحاً وبَطَلا ...
مَنْ علَّم الإنسانَ أن ينمو على ... طبائع الذئبِ وكان حملا ؟؟

علِّمْه باللهِ المطايا صعبةً ... ولا تملّه المطايا ذُلُلا
علِّمه أن الحربَ دكَّتْ أمما ... وزلزلت ممالكاً ودُولا
علِّمه أن الحق لا يُحمى إذا ... كان الفتى من السِّلاح أعزلا
علِّمه في النقد المرارة التي ... ليست تحابي لتكون عسلا !!
علِّمه في القول الصراحة التي ... عرفتُها فيك تهزّ الجبلا
علِّمه في الحب الحرارة التي ... تجعل من قلب المحب شُعَلا
علِّمه أوْ لا ! فهو شبلٌ ناشئ ... هل تنجب الأسُودُ إلا أشبُلا ؟

محمد عبد الغني حسن

صوت كتاب الرسالة أيضاً

كتب الدكتور سيد حنفي في العدد ٦٠٢ من مجلة الرسالة الغراء مقالاً تحت عنوان « أثر الرسالة في الأدب المعاصر » ولما طالعته وجدته أغفل ذكر بعض الكتاب الأعلام الذين كانت لهم جولات في ميدان الرسالة وكانوا في مقدمة كتابها الكرام : فالأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني هو أحد الكتاب الأعلام الذين كانوا يحررون مجلة الرسالة ، وكذلك المرحوم عبد العزيز البشري ، وكانت أبحاث الأستاذ محمد عبد الله عنان التاريخية في مقدمة المقالات التي تنشر في الرسالة ، ومن الذين كانوا يكتبون في الرسالة أيضاً الأساتذة : زكي نجيب محمود ، وخليل هنداوي ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومحمد عطية الإبراشي ، وحسين شوقي ؛ ومن الشعراء الذين كانوا يخصون الرسالة بما تنتجه قرائحهم الفياضة الأساتذة : علي أحمد باكثير ، وفريد عين شوكه ، ونخري أبو السعود ؛ وكل هؤلاء الكتاب والشعراء لم يتطرق الدكتور إلى ذكرهم في مقاله .

(بغداد — أعظمية) عبد الباسط يونس رجيب



في عالم الكتب

الشوامخ (*)

خصائص الشعر الجاهلي وأعلامه

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

خيل إلى وأنا أقرأ هذا الكتاب الطريف الممتع أنني أقرأ لشيخ من شيوخ اللغة والأدب لا لرجل عل من الثقافة الأوربية ونهل، وغاص في بحار المخطوطات والأضابير والوثائق التاريخية يستخرج منها تاريخاً لامبراطورية محمد على الكبير، أو يكتب بالفرنسية كتاباً عنوانه: La Genèse de l'Esprit National Egyptien أو يؤرخ بالعربية للثورة الفرنسية ونابليون.

ولكن الدكتور محمد صبري يستوى عنده التاريخ والأدب مادام في ذلك رضى لحاسته الفنية الرفيعة، أو رضى لقوميته المصرية العريقة، أو رضى للغته العربية وأدبها الفنى السمين.

وعجيب أن هذا الرجل الذي يقرأ في الفرنسية، ويكتب قادراً بالفرنسية، ويؤرخ لأحداث العصر الحديث يطوى القرون القهقرى حتى يأتى «امرأ القيس» في أموره وخموره؛ ويأتى «طرفة» في رحلته وناقته، ويأتى «زهير بن أبي سلمى» في حكمته ومدائحه وفي المهاة التي شبه بها ناقته. ثم لا يكتفى بذلك فحسب، بل تراه ضاربا مع الجاهليين في الخيام، هائما معهم في كل دوية؛ يلاحظهم وهم يشدون الأكوار على الرحال، أو يلعبون القابلة في الرمال، أو يطردون بالكلاب المضرّاة الثيران؛ أو حين تخرج الأرامل الشُّعثُ يحملن الناقع الى رجل كريم فتح بابه للسؤال، وتهلل وهو يبث النوال ....

والحق أن في الشعر الجاهلي كثيراً من غريب الألفاظ باعد الزمن بيننا وبينها، فتغيرت على أذواقنا وتوعرت على أسماعنا. ولكن الدكتور محمد صبري — جزاه الله أحسن الجزاء — قد ألف بيننا وبين هذه الثروة المذخورة من الألفاظ؛ فقد عرض الشعر الجاهلي عرضا متبوعاً بشرح غريبه؛ فلا تلبث حتى ترى نفسك أمام شعر خَلَعَ التفسير عليه جمال الوضوح، فبدا رائعاً في شرحه، رائعا في متنه. وإذا بك ترى هذه الألفاظ المهجورة الموحشة مأنوسة مألوفة؛ وإذا بك تجد الحسّ بينك وبين العربي مشتركا، وتجد التجاوب بينكما متبادلاً. فتقف أمام البيت من الأبيات وأنت تكاد تحس فيه قلب الشاعر أو همس الخاطر ...

والمؤلف نفسه متأثر بالأسلوب العربي الرصين؛ ويخيل إلى أنه عنده حاسة يتخير بها اللفظة اللامعة مهما كانت غريبة؛ ولعله واثق أن إعادة استعمالها قد يضفى عليها الحياة من جديد. ولعله ناجح فيما هو بسبيله من ذلك. فقد وصف في صفحة ٥٨ مناظر الصيد والطرد بأنها «مرعبلة» ثم عاد في ص ٦٣ فشرحها في بضعة أسطر شرحا يجذبك إلى استعمالها ويحملك على الأخذ بها.

الدكتور صبري محب للشعر الجاهلي، ولا نغالى إذا قلنا إن حبه إياه قد جرى مجرى الدم في مفاصله. وفي كل صفحة من الكتاب برهان ذلك ومصداقه. ولكنه أعلن ذلك الحب وجاهر به مصرحا في ص ٧١ حيث يقول «وإني أحب الشعر الجاهلي وأحب أسلوب الجاهليين». ولو أنا وجدنا بيننا من يحب الأسلوب الجاهلي كما أحبه صبري ماشكونا الآن من «ميوعة» بعض الكتاب والشعراء المعاصرين الذين لا يبالون بلفظ ولا يحفلون بأسلوب. ولكن همهم من القول أن يرصوا الكلام رصاً. من غير أن تكون لتلك الألفاظ التي يستعملونها دلالة خاصة — تلك الدلالة التي تجعل الأديب المرهف يؤثر لفظا على لفظ أو أسلوبا على أسلوب.

وفي الشعر الجاهلي لوحات فنية كثيرة لم يغفلها المؤلف، ولكنه أبرزها في خير أُطرها غير مغفل جمال اللوحة نفسها. وصوحنا ناقد فنى بصير. ولا تفوته من حين إلى حين الموازنة

(*) طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في ١٥٢ صفحة — الجزء الأول.

بين صورة ناطقة لشاعر وصورة صامتة لمصور.. فصورة « طرفة » التي يقول فيها :

وجالت عذارى الحى شتى كأنها توالى صوار والأسنة ترعف

تذكره بصورة لرافائيل الإيطالى كانت موضع نقد من النقادة الفرنسى Muntz ص ١١٠

وقولة حميد الراجز فى صفة القلب عند وشك الفراق تذكره ببيت للشاعر « ترابن » ص ١١١ . ولوحات الشعر الجاهلى الحيوانية تذكره بالمثال المصور الحيوانى (بارى) ص ٥٧ .

وإذا كان أبو نواس لم يفطن إلى نعت الإبل وناعتها فأن المؤلف يلومه على هذا الاغفال لحقيقة فطن إليها الجاهلى فى شعره — ص ٧٠ .

وهكذا ترى المؤلف فطنا إلى مافى دقائق الشعر الجاهلى من تمثيل وتصوير، حتى كاد كتابه يكون قائما كله على هذه الناحية ، وهو على ذلك مثن عليه أطيب ثناء . إلا أنه — فى بعض مواطن من الكتاب — قد يعدل عن الرسم الصحيح للشعر . وكان خيرا لو راعى الوزن فى الرسم كما راعى التقصى فى البحث . فى صفحة ٧٢ البيتان السادس والثامن من شعر البحترى لم يرسما على نهج صحيح .

وفى صفحة ٤٨ ذكر البيت المشهور :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خماصا

والصواب (يبتن خمائصا) على وزن فعائل كما ورد فى الأمالى حـ ٢ ص ١٥٨ طبع دار الكتب . وفى صفحة ٤٧ نسب البيت المشهور : —

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

إلى الشاعرة ليلى الأخيلية . وقد نسبه ابن خلكان فى وفيات الأعيان إلى الفارعة أخت الوليد بن طريف وقيل فاطمة وقيل ليلى . ولكنها على كل حال غير ليلى الأخيلية — راجع وفيات الأعيان حـ ٢ ص ٢٣٦ الطبعة الأميرية البولاقية

وفى صفحة ٨٧ (قال أبو الهندى ..... يصف أباريقا) . ولعلها أباريق ممنوعة من الصرف . وفى صفحة ٦٩ (ترى المصور أو الشاعر مولع) وهى من أخطاء الطبع . وفى صفحة ٥٤ (إذا نظرت إلى الجمل .... لتبينت) . واللام لاتقع جوابا لاذا الشرطية وإنما تقع جوابا (للو) فى حالة الأثبات غالبا

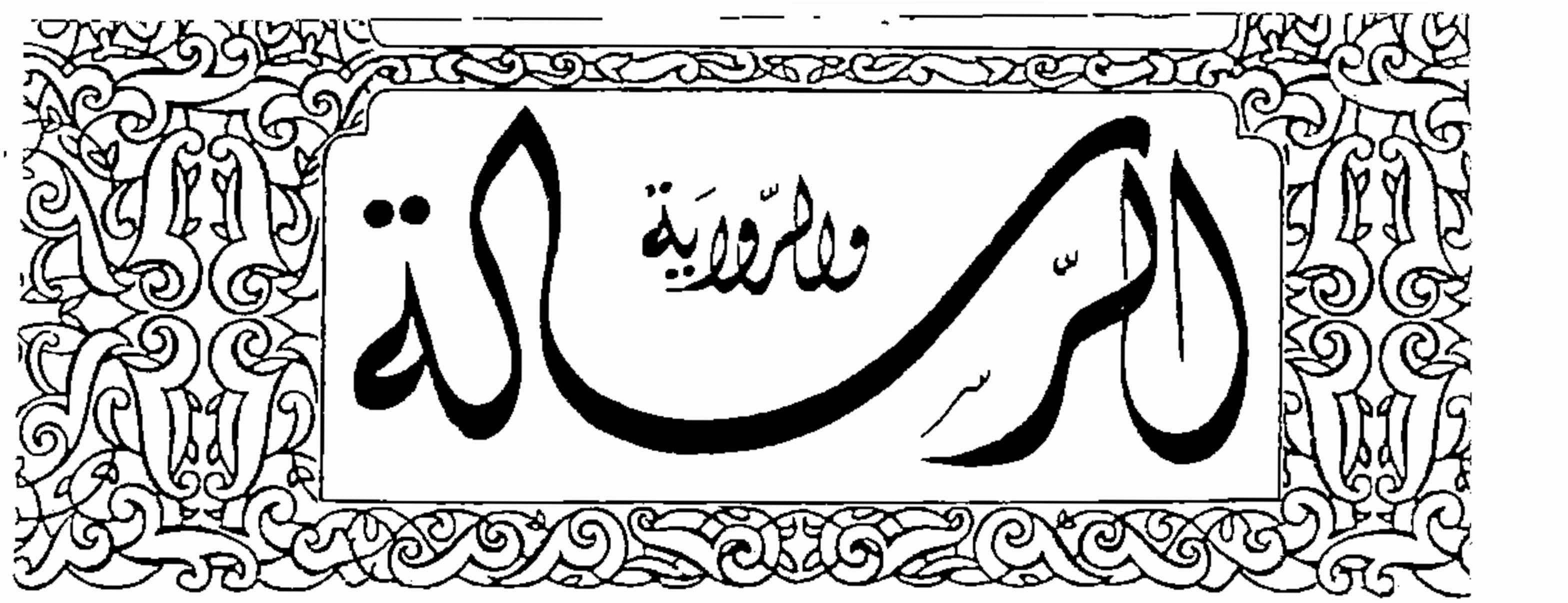
وفى صفحة ٦٥ (فيمكن للمصور تجريدها) واللام هنا لاعمل لها .

وفى صفحة ٧٢ (حاول الأدباء . . . . تحديد مراتب وطبقات الشعراء) والأولى أن يقال (تحديد مراتب الشعراء وطبقاتهم) . فقد أولوا قول الفرزدق (بين دراعى وجبهة الأسد) على تقدير مضاف اليه محذوف أى بين ذراعى الأسد وجبهته — المفصل للزمخشرى مطبعة الكوكب الشرق ص ٥٠

وفى صفحة ١٢٣ وردت الآية الكريمة هكذا (فما بكت عليهم الأرض والسماء) . وصحة الآية (فما بكت عليهم السماء والأرض) .

تلك مآخذ شكلية لا تمس لباب هذا الكتاب القيم الذى نتوقع له من الرواج ما يتفق وإخلاص المؤلف فى نيته وتحمسه لفكرته وافتخاره بعربيته — حفظ الله به الأدب..

محمد عبد الغنى حسن



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون